

لم تكن الدراسة الصوتية بمنأى عن بقية الدراسات اللغوية الأخرى، بل هي فرعٌ من فروع علم اللغة، ومستوى من مستوياته الأساسية، شأنها شأن علم الصرف، وعلم التركيب وعلم الدلالة .

وقضية الاهتمام بالدراسة الصوتية في علم اللغة قديمة قدم التفكير اللغوي خاصة وأن القرآن الكريم كان سببا في وجود هذه الدراسات، فهو كتابٌ هداية وتشريع لا شك في هذا ولكنه من جانب لغوي كتاب العربية الخالد يحرس لسانها ويُقَوِّم أود بيانها، فهي محفوظة به لذلك بقيت في ذروة عطائها الذي لا ينتهي

فرصد أية ظاهرة لغوية يعني العناية باللغة ذاتها، بدءًا بترصين دعائمها التي تمثلها الأصوات فبانضمام بعضها إلى بعض تشكل مفردات تلك اللغة ، وقد استوفقتنا ظاهرة التتوين لما لها من أثرٍ لغوي في مثل هذه الدراسات، وفي علوم العربية على اختلافها في الأخذ والعطاء فيما يخص هذه الدراسة من إشكالية احتوت عدة تساؤلات أبرزها :

ما حقيقة التتوين؟ هل فعلا هو ظاهرة صوتية؟ أم شكلية من الشكليات التي أضفت جماليات على اللغة؟

إذا كانت ظاهرة صوتية ؟ هل كان لها حضور في الربع الأخير في القرآن الكريم؟ وبأي صيغة برزت؟ وما الدلالات والأغراض التي تخدم؟ وما علاقة الصرف بالتتوين؟ فإذا كان التتوين حقيقة ظاهرة كيف أثرت وما مدى أثرها في الدرس اللغوي عليه؟ وفي الربع الأخير

من بينها هذه فصاحبت لونا من ألوان إعجازه التي لم يكشف النقاب عنها ضمن دراسات مستقلة وشانلة إلى الآن، ولذلك اتخذنا من القرآن أساسا لتطلعاتها، وآياته مضمارا لاستلها نتائجها، فالقرآن كتاب هداية وتشريع لا شك في هذا، ولكنه من جانب لغوي كتاب العربية الخالد يحرس لسانها ويُقَوِّم أود بيانها، فهي محفوظة به، لذلك بقيت في ذروة عطائها الذي لا ينتهي .

سبيلنا فرصد أية ظاهرة لغوية يعني العناية باللغة ذاتها، بدءًا بترصين دعائمها التي تمثلها الأصوات بانضمام بعضها إلى بعض تشكل مفردات تلك اللغة ، وقد استوقفتنا ظاهرة التنوين لما لها من أثرٍ لغوي في مثل هذه الدراسات، ولذلك اتخذنا في الأخذ والعطاء فيما يخص هذه الدراسة من إشكالية احتوت عدة تساؤلات أبرزها :  
 ما حقيقة التنوين؟ هل فعلا هو ظاهرة صوتية؟ أم شكلية من الشكليات التي أضفت جماليات على اللغة؟

إذا كانت ظاهرة صوتية ؟ هل كان لها حضور في الربع الأخير في القرآن الكريم؟ وبأي صيغة برزت؟ وما الدلالات والأغراض التي تخدم؟ وما علاقة الصرف بالتنوين؟ فإذا كان التنوين حقيقة ظاهرة كيف أثرت وما مدى أثرها في الدرس اللغوي عليه؟ وفي الربع الأخير من القرآن الكريم خاصة؟

وبطبيعة الحال لم تكن هذه الدراسة أول بحث يعرض لظاهرة التنوين ويحاول تفسيرها فقد ابتدأت دراستنا باقتراح من الأستاذ المشرف الدكتور "الحلوي صالح" وأنجزت بتأييد منا محاولين تسليط الضوء على أفكار لم تلق إقبالا في الدراسات الحديثة، وخاصة أنها نابعة من قدسية كتاب المولى عز وجل، فالتنوين ماسة مشعة أتى استقبلها الرائي ألقت عليه بأضواء حاولنا في هذه الدراسة كشفها واكتشافها في الربع الأخير من القرآن الكريم وفق دراسة لغوية .

وارتأينا أن يكون منهج البحث تكامليا يضم مجموعة من المناهج ليكون أكثر ثراء في فهم المادة اللغوية المعروضة، فكان ذا منهج وصفي تاريخي، اعتمدنا فيه التفسير والتحليل للجداول البيانية، والجنوح أحيانا إلى المقارنة .

أما الوصفي فيتمثل في تفسير المادة اللغوية، في حين برز التاريخي من خلال تتبعنا لظاهرة التنوين، ورصد أهم ما قاله النحويون القدماء والمحدثين فيها، ليكون المنهج المقارن سبيلا في عرض مجموعة من الأداء التي تخدم الموضوع .

ووفقا لهذا حاولنا نسيج وحبك خطة تتسج مع صلب الموضوع، فقد قسمنا البحث إلى تمهيد، ومقدمة كانت بمثابة بطاقة تعريف للموضوع، وفصلين إعتدنا فيهما التظهير والتطبيق، وخاتمة .

فمن خلال التمهيد حاولنا أن نطرق باب البحث، فتناولنا فيه مجموعة من الآراء والمواقف التي تكشف عن أصل التتوين وعلاقته باللغة العربية، وموقعه من اللغات الأخرى .

أما الفصل الأول، كان بعنوان -ظاهرة التتوين والبناء اللفظي - فقد خصصناه للكشف عن الطبيعة اللغوية والصوتية للتتوين، وعلاقتها ببعض المظاهر الصوتية مستدلين بنماذج تطبيقية من الربع الأخير من القرآن الكريم، لنكشف الغموض في عن أهم دلالات التتوين الكامنة فيه.

أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان -ظاهرة التتوين والبناء التركيبي - وفيه تناولنا ظاهرة التتوين كجزء من بناء التركيب، وأحد شروط الألفاظ العاملة عمل الفعل كي تؤثر في معمولاتها من خلال رصد أهم الأبواب النحوية التي لها علاقة بالتتوين، إضافة وكان علينا أن نلّم شتات هذا الموضوع، وأن نجمع شوارده المتناثرة في كتب التفسير، وكتب اللغة والدراسات القرآنية لنصنفها بعد ذلك بحسب ما يقتضيه البحث العلمي من تحليل وموازنة، ولعل أبرزها المؤلفات النحوية واللغوية القديمة، في مقدمتها كتاب سيبويه، همع الهوامع للسيوطي، شرح المكودي على الألفية، شرح ابن عقيل على الألفية ابن مالك، وبعضها الآخر مؤلفات حديثة في الدراسات اللغوية والصوتية نذكر منها: ظاهرة التتوين في اللغة العربية لعوض مرسي جهاوي، فقه اللغة المقارن لإبراهيم السامرائي، التطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر، إضافة إلى جملة التفسير والكتب الخاصة بالقراءات القرآنية ضمن الدراسات اللغوية نذكر: تفسير التحرير للتوير لمحمد الطاهر بن عاشور بأجزائه [29-30]، تفسير الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، كذلك الكنز في القراءات العشر لعبد الله بن

عبد المؤمن، هذا عدا المراجع التي فرضتها طبيعة الدراسة من معاجم وكتب أخرى لا تقل أهمية عما ذكرناه .

وليس من باب التكهن والمجازفة ،القول أنه بالأمر الهين انجاز مثل هذه الدراسات لما تحتاجه من التخصص والدقة في كل خطوة من خطواتها، أما حيرتنا فكانت أمام جدّة الموضوع وصعوبة التمكن على أفكاره لتشعبها ما دامت دراسة لغوية، فتعددت جوانبه، خاصة وأنها قي القرآن الكريم.إلا أن استمرار الباحث في مجال البحث أغنى وأكثر نفعاً . لذا نظن أننا حاولنا فأصبنا، لا نقول ذلك اعتزازاً أو فخراً، فهذا واجبنا ولكننا نقول ذلك اعتذاراً عمّا قد يكون فيه من مواطن الزلل .فمن بذل المجهود حق له العذر، فالحمد لله على ما أسبغ من النعمة، وأتمّ من المنّة ويسر من العسر لانجاز هذه الدراسة . والشكر لله وهو المبتدئ، والشكر موصول للمشرف الفاضل الدكتور "الحلوي صالح" على ما غمرنا به من توجهات نافعة، كما نشكر فضيلة الدكتور "رييح عمار" كان نعم العون لنا خلال مسيرة هذا البحث .

وكما لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشكر كل من كانت له أياد بيضاء أثناء كتابتنا

لهذا البحث